

الجارديان | بينما يُجوّع ننتياهو غزة | معركة جديدة تُخاض داخل إسرائيل ضد اللامبالاة



الأحد 17 أغسطس 2025 01:00 م

كتب ألوف بن، رئيس تحرير صحيفة هآرتس، أنّ موجة الحرّ الشديدة التي ضربت المنطقة هذا الأسبوع لا تُفَرِّق بين الإسرائيليين والفلسطينيين غير أنّ الإسرائيليين يختبئون داخل البيوت والمكاتب والسيارات المكيفة، بينما يواجه المحاصرون في غزة رطوبة خانقة فوق جوعهم وعطشهم وخوفهم الدائم من الموت. الأزمة الإنسانية الناتجة عن القيود الإسرائيلية على المساعدات تتفاقم رغم الضغوط الدولية، فيما لا يتوقف القصف، والسلطات تستعدّ لمرحلة جديدة من الحرب هدفها "إبادة حماس".

أشارت صحيفة الجارديان إلى أنّ غالبية الإسرائيليين تحصّنوا نفسيًا ضد مشاهد المأساة في غزة. الإعلام الرسمي والحكومة يقنعانهم بأنّ المجاعة مجرد دعاية من حماس أو أكاذيب "معادية للسامية"، ولهذا لا يشعرون بأيّ مأزق أخلاقي. فبعد نحو عامين من الحرب، الحياة في تل أبيب تعود إلى إيقاعها المعتاد: مطاعم وشواطئ مكتظة ومطار يعجّ بالسياح. الاقتصاد يحقق أرقامًا تفوق التوقعات، والمعارضة للحرب تكاد تقتصر على القلق حيال مصير الأسرى الإسرائيليين في أنفاق غزة وتراجع الحافز للتجنيد الاحتياطي وازدياد حالات الصدمات النفسية والانتحار بين الجنود. ومع ذلك، يمنح معظم الإسرائيليين، حتى المنتقدين الشرسين لنتياهو، ضوءًا أخضر لاستمرار العقاب الجماعي لغزة.

هذا التراخي الشعبي يسمح لرئيس الوزراء بالتركيز على لعبته المفضلة: المناورات السياسية والسيطرة على الإعلام. هدفه الحالي إخضاع المؤسسة العسكرية. فالحرب وقررت له فرصة غير مسبوقة لتصفية حساباته التاريخية مع قادة الجيش والاستخبارات الذين شكلوا نواة المؤسسة الليبرالية التقليدية، وكانوا دائمًا منافسيه الأشد خطرًا. منذ رابين مرورًا بباراك وشارون وصولًا إلى غانتس وآيزنكوت، خاض ننتياهو معارك طويلة معهم ونجا سياسيًا، لكنه ظل مكبلاً بفتوة غير معلن من المؤسسة الأمنية على قرارات الحرب والسلام.

بعد هجوم السابع من أكتوبر 2023، الذي فشلت الأجهزة في توقعه واحتوائه، وجد ننتياهو فرصته الذهبية. حوّل القيادات الأمنية المسؤولية، منع أي تحقيق مستقل، وأطلق موجة تطهير أطاحت بقيادة بارزين ليستبدلهم بمقرّبين. هكذا استطاع نسب النجاحات ضد حزب الله وإيران وحتى سقوط نظام الأسد إلى نفسه، مكرّسًا صورة الزعيم الوحيد القادر على قيادة المعركة.

لكن السيطرة على الجيش لم تكن سهلة. أراد أن يحوّل إلى ذراع من أذرع "عبادة بيبي (ننتياهو)"، كما فعل حليفه المتطرف إيتمار بن غفير مع الشرطة والسجون. فاختار إبال زيمير رئيسًا جديدًا للأركان، رجلًا قويّ البنية خدم مساعدًا عسكريًا له سابقًا، وتوقّع منه الولاء المطلق. سارع الإعلام اليميني لتسويقه بصفته قائدًا هجوميًا سيقضي على حماس ويحافظ على إعفاء المتدينين من الخدمة.

في البداية بدا زيمير متماسيًا مع الخطّ. إذ خرق الجيش هدنة قصيرة في مارس، صدّد القصف وأوقف تدفق المساعدات، ثم شنّ عملية جديدة في مايو هدفها "تصفية حماس" ودفع سكان غزة نحو التهجير. لكن سرعان ما كشف القائد الجديد أولويات مغايرة: رفض المخاطرة المفرطة بحياة جنوده والأسرى، وأصدر آلاف أوامر التجنيد للشباب الحريديين، متحدثًا برغبات ننتياهو. ومع تعهّد الحكومة باجتياح ما تبقى من غزة ولو على حساب الأسرى، هدد زيمير بالاستقالة.

تفاعل ننتياهو كعادته عبر التحريض غير المباشر. ابنه يائير اتهم زيمير بمحاولة "انقلاب عسكري"، وتصادت الأزمة في اجتماع مجلس الأمن المصغر في السادس من أغسطس، حيث حدّر القائد من وقوع الجيش في "فخ" يهدد الأسرى. جرى التوصل إلى حل وسط: اجتياح مدينة غزة فقط وتهجير سكانها البالغ عددهم مليون نسمة وتدميرها بالكامل، مع مهلة شهرين قبل التنفيذ لإتاحة فرصة لصفقة تبادل.

لكن الصراع لم ينته. وزير الدفاع يواصل الضغط على زيمير، وفكرة إقالة رئيس الأركان بعد أشهر قليلة صارت مقبولة علنًا، مع تداول أسماء جنرالات "أكثر هجومية" وأكثر طاعة لرئيس الوزراء. هكذا يتواصل تفكك المؤسسة العسكرية على إيقاع طموحات ننتياهو في الهيمنة.

كل هذا يحدث بينما يعاني مليوناً من الجوع والحرمان، والأسرى يتألمون في الأنفاق وفي الداخل الإسرائيلي، دعا ناشطون إلى احتجاج وإضراب عام للمطالبة بوقف الحرب واستعادة الأسرى، وحظيت المبادرة بدعم شعبي واسع في استطلاعات الرأي غير أنّ نتنياهو يواصل التشبّث بمساره المزدوج: ترسيخ التطهير العرقي في غزة وتركيز السلطة بين يديه في المفارقة أنّ زمير، الذي صوّر كحليف مطيع، صار رمزاً لمقاومة هذه الأجنحة، شأنه شأن منافسي نتنياهو العسكريين على مدى عقود.

في النهاية، يوضح الكاتب أنّ نتنياهو يهوى ترك جميع الخيارات مفتوحة وإرباك خصومه بسرديات متناقضة غير أنّ أمرين ثابتان: شغفه اللامحدود بالسلطة وطول البقاء في الحكم، وتزايد أعداد القتلى في غزة بفعل القصف والجوع، بينما يواصل الإسرائيليون إدارة ظهورهم للمأساة.

<https://www.theguardian.com/commentisfree/2025/aug/15/benjamin-netanyahu-gaza-starve-israel-tel-aviv>